وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر – بسكرة –

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم: العلوم الإجتماعية

التخصص: علـم الإجتمـــــــاع مكان المحاضرة: دروس عبر الخط

المستوى: السنة الثانية علم الإجتماع التوقيـت: 16:30 – 18:00

محاضرات في مقياس تاريخ الجزائر المعاصر

المشرف على المقياس: الدكتور/ رشيد العايدي

ملخص المحاضرة السابعة

ثورة الزعاطشة 1849 وباقي الثورات المسلحة الأخرى

محاضرات تاريخ الجزائر المعاصر (الدكتور/ رشيد العايدي)

مقدمة

زعمت فرنسا خلال فترة إحتلالها للجزائر، بأنها دولة قانون إحترمت حقوق الإنسان، وإلتزمت بمواثيق وقرارات القانون الدولي الإنساني، بينما الوقائع والشواهد التاريخية تفند ذلك وتنفيه نفيا قاطعا، من خلال تعرَّض الشعب الجزائري طيلة فترة التواجد الفرنسي بالجزائري؛ لأبشع أنواع الجرائم التي عرفتها الإنسانية من قتل، تعذيب، حصار، تشريد، تضييق وحتى التمثيل بجثث الموتى، دون مراعاة لأبسط حقوق الإنسان، ولا احترام لمواثيق ومعاهدات القانون الدولي الإنساني، فقد تعرضت مناطق عدة من الجزائر إن لم يكن كلها، لمجازر وثورات انتهكت فيها الإدارة العسكرية وحتى المدنية الفرنسية كلَّ المحرمات، وارتكبت فيها أفظع الجرائم، وكان أشد هذه الانتهاكات وأشنعها جرائم ثورة الزعاطشة عام (1849م)، تلك الثورة التي ارتكبت فيها قوات المستدمر الفرنسي جرائم حرب، جرائم ضد الإنسانية، وجرائم إبادة بحقّ المدنيين العزّل من أهالي منطقة الزيبان وواحة الزعاطشة، فأبادت عائلات بأكملها، بعد أن مثلت بجثث قادة وأبطال الثورة، حين قطعت رؤوسهم وعلقتها بمداخل بسكرة، ولم يقتصر إجرامها على البشر فحسب، بل طالت يدُ الإجرام المساجد، دور العبادة، تدمير القرى، وحتى واحات النخيل والأراضي الزراعية.

لقد كانت ثورة الزعاطشة التي كانت ضواحي بسكرة مسرحا لها، ترجمة لعنجهية المستدمر الفرنسي، حيث عرّته وكشفت حقيقته، بعد أن خرق كل القوانين والمواثيق الدولية، بإقدامه على إرتكاب واحدة من أكبر الجرائم التي شهدتها البشرية في التاريخ المعاصر، من خلال إقدامها على إعدام قادة ثورة الزعاطشة، متجردة بَعدَها من الإنسانية، حين تعمدت قطع رؤوس هؤلاء القادة والأبطال، ضاربة عرض الحائط كل الأعراف والقوانين الدولية، متحدية بذلك المجتمع الدولي رافعة شعار "أنا القانون والقانون أنا"، هذه التصرفات التي لا يمكن أن تدخل إلا في خانة الإرهاب الدولي.

أولا: أسباب ثورة الزعاطشة ونتائجها

1. أسباب ثورة الزعاطشة

لم يكن لثورة الزعاطشة سبب وحيد، بل تشابكت أسباب عديدة لقيامها، والتي كلها تسعى لتحقيق غاية واحدة هي طرد المحتل، من خلال رفض الشعب الجزائري القاطع للاحتلال الفرنسي، ويمكن إجمال أهم هذه الأسباب في الآتي:

- الإصرار على مواصلة الجهاد كإمتداد للثورة التي قادها الأمير عبد القادر، باعتبار الشيخ بوزيان كان أحد أعوان الأمير عبد القدر وأتباعه، حيث قاد الطريقة الدرقاوية بالزيبان، وعمل في دولة الأمير كشيخ على سكان الزاب الظهراوي.
- إرتفاع الضرائب على النخيل التي تعتبر المورد الرئيس لسكان منطقة الزيبان ابتداء من شهر مارس 1849م من 0,25 فرنك إلى 0,40 فرنك للنخلة الواحدة.
- تراجع الإدارة الإستعمارية عن مبدأ إعفاء المرابطين من الضرائب، مما أدى إلى اتساع دائرة التذمر بعد الزيادة في ضريبة النخيل، وإنخفاض موارد المرابطين والزوايا التي كانت تساهم في مساعدة محتاجي المنطقة وفقرائها، فعرف الشيخ بوزيان كيف يستغل هذا الموقف في مواجهة قوات المحتل الفرنسي، حيث سارع إلى إجراء اتصالات حثيثة مع رؤساء القبائل والأعراش، قصد تهيئة الأرضية الضرورية لإعلان الجهاد على غرار جمع الأموال وشراء السلاح والذخيرة وتخزين المؤن ...الخ، وهو الأمر الذي شدّ انتباه القوات الفرنسية، فقام الملازم "سيروكا" نائب رئيس المكتب العربي ببسكرة بالتحرك نحو الزعاطشة للقبض على الشيخ بوزيان، مصطحبا معه شيخ بلدة طولقة ابن المهوب وبعض

محاضرات تاريخ الجزائر المعاصر (الدكتور رشيد العايدي)

الفرسان وتوجّه إلى واحة الزعاطشة، غير أنهم فشلوا في القبض على الشيخ بوزيان أمام الرفض الذي أبداه مناصروه، حينها عاد الملازم "سيروكا" إلى بسكرة ليقدم تقريرا مفصلا إلى القيادة، مفاده أن جميع سكان واحات الزيبان أعلنوا مناصرتهم للشيخ بوزيان، وهم ملتفين من حوله، وأبلغ إدارته بأن الجهاد قد أعلن من مآذن مساجد الواحات. ولمعاينة الأوضاع عن قرب انتقل رئيس المكتب العربي الضابط "دو بوسكيه" إلى الزعاطشة يطلب من السكان تسليم الشيخ، بوزيان لكنهم رفضوا وردوا عليه قائلين: "..إننا نرفض أن نسلمكم الذي تطلبون وإننا سنقاتل عن آخرنا رجالا ونساء من أجله..". عندها تيقن "دو بوسكيه" أن روح الانتفاضة قد انتشرت في ربوع المنطقة.

– إنشغال القوات الاستعمارية المرابطة في مقاطعة قسنطينة بقمع انتفاضات أخرى في أنحاء شتى من الوطن، مما أتاح الفرصة للشيخ بوزيان لإعلان الجهاد، مستغلا قلة عدد القوات الفرنسية المرابطة بمركزي باتنة وبسكرة وغياب القائد العسكري "سان جرمان" عن دائرة بسكرة، وسعيا منه إلى تخفيف العبء على المقاومات المتأججة هنا وهناك بتشتيت جهد القوات الاستعمارية.

– الصدى الذي تركه سقوط النظام الملكي الدستوري بعد الانقلاب الذي أحدثته الثورة الفرنسية عام 1848م، وقيام الجمهورية الفرنسية الثانية، وانعكاساتها على الأوضاع السياسية في الجزائر؛ منها عزل الحاكم العام الدوق "دومال"، إبن الملك "لويس فيليب"، وإستخلافه بالجنرال "كافينياك"، وذلك يوم 03 مارس 1848م.

– هذه الأحداث وانتشارها في المنطقة ساعدت بطريقة غير مباشرة؛ في إرتفاع معنويات الثائرين بالمنطقة، وعلى رأسهم الشيخ بوزيان الذي حاول استغلال أوضاع فرنسا المضطربة لإعلان الجهاد.

2. سير ثورة الزعاطشة

مرّت مقاومة الزعاطشة كغيرها من المقاومات بثلاث مراحل أساسية هي: مرحلة القوة ومرحلة الحصار ومرحلة الضعف.

أ - مرحلة القوة:

يوم 16 جويلية 1849م وصل الفرنسيون إلى منطقة الزعاطشة، تحت قيادة العقيد "كاربوسيا"، الذي سعى منذ وصوله إلى تشديد الحصار على الواحات، منتهجا سياسة خنق الثورة وإخمادها في مهدها؛ والقضاء على قائدها الشيخ بوزيان حتى يستتبّ لهم الأمن بالمنطقة، إلا أن الثوار كان لهم رأيا آخر، حيث صمودهم وإستبسالهم في الدفاع، فاجأ الفرنسيون الذين تكبدوا خسائر في الأرواح والمعدات، بعد أن أمطرهم الثوار بوابل من الرصاص؛ قضوا من خلاله على 31 جنديا فرنسيا وجرحوا ما لا يقل عن 117 آخرين، الأمر الذي جعل العقيد "كربوسيا" يضطر إلى سحب قواته تحت ضربات سرايا مجاهدي أولاد نائل وبوسعادة والمسيلة؛ ممن التحقوا بإخوانهم في الزعاطشة، وذلك بعد ساعات من الاشتباك.

لقد كان لهذا الانتصار دفعا قويا من الناحيتين المعنوية والمادية للثوار، كما زاد في تأجيج المقاومة بين سكان المنطقة، فقام الشيخ المرابط سيدي عبد الحفيظ مقدم إخوان الرحمانية بإعلان الجهاد، ولبى سكان واحات الزيبان النداء لتحرير مدينة بسكرة، فاصطدموا بالقوات الفرنسية بقيادة "سان جرمان" قائد دائرة بسكرة، فوقعت معركة سريانة مع بزوغ الفجر شهر سبتمبر 1849، وتدور أحداث هذه الواقعة أن المنطقة شهدت أحداث تاريخية كبرى، كان أهمها مقتل الرائد سان جرمان بواحة سريانة الملاصقة لمنطقة تهودة، التي سقط فيها هذا الأخير تزامنا مع إندلاع ثورة

محاضرات تاريخ الجزائر المعاصر (الدكتور رشيد العابدي)

الزعاطشة سنة 1849م، وتدور أحداث هذه الموقعة أنه في يوم 17 سبتمبر 1849م تجمع 1200 رجل بعد أن تمركزوا بالقرب من واحة سريانة على الضفة اليمنى من وادي براز بهدف التقدم لمهاجمة القوات الفرنسية المتواجدة في بسكرة، إلا أن أحمد بن شنوف قايد الزاب الشرقي في سيدي عقبة، سارع إلى بسكرة وأخبر الرائد سان جرمان بذلك، هذا الأخير قام بدوره بالتوجه بسرعة إلى سريانة بقوة تضم 300 من الفنطزية و 100 فارس و 03 قناصة و 50 سبايسي، وعند وادي براز جرت المعركة التي خسر فيها الفرنسيون عند الطلقات الأولى الرائد سان جرمان الذي سقط فيها قتيلا، كما خسر الفرنسيون قناصا وأربعة خيول، بالإضافة إلى إصابة العريف ريتشارد.

ورغم سقوط القائد الفرنسي سان جرمان قتيلا، إلا أن الجيش الفرنسي تمكن من إحكام الحصار، مما أجبر سيدي عبد الحفيظ على سحب ما تبقى من أنصاره. فلستغل الفرنسيون هذا الانتصار وازدادوا إصرارا على الانتقام من سكان واحة الزعاطشة، وقرر الفرنسيون تأجيل حصارهم للواحة إلى بداية فصل الخريف، وكان لهم ذلك، حيث قاد الجنرال "هيربيون" حاكم مقاطعة قسنطينة آنذاك شخصيا الحصار، بعد أن عيّن العقيد "كربوسيا" خلفًا للعقيد سان جرمان.

ب- مرحلة حصار الواحة

باشر الجنرال هيربيون بتجميع قواته المقدرة بـ بأربعة آلاف وأربع مائة وثلاثة وتسعين (4493) جنديًا بـ"كدية المائدة" المحاذية لبلدة الزعاطشة يوم 07 أكتوبر 1849م صباحا، ثم احتل الزاوية القريبة من الكدية وسيطر على مفترق الطرق المؤدية إلى واحة الزعاطشة، لاسيما الرابط بين طولقة والزعاطشة حتى يَحُول دون وصول أية إمدادات، ثمّ أعطيت الأوامر للمدفعية بقصف الأسوار لإحداث ثغرة فيها، إلا أن المقاومة المستميتة أجبرت القوات الفرنسية على التراجع بعد أن خسروا 35 قتيلاً من بينهم ضابط و 147 جريحا، ثمّ تمكن الفرنسيون بواسطة المدفعية احتلال الزاوية ورفع العلم من على مئذنتها. ورغم ذلك واصل الشيخ بوزيان شحذ همم المجاهدين وأرسل رسله خفية إلى قبائل بوسعادة وأولاد نائل وغيرها من القبائل الصحراوية طالبا منهم المدد. غير أنّ الشيخ بوزيان استطاع أن يَنْفذ من هذا الحصار ويبعث الرّسل إلى مختلف الأنحاء.

ج- مرحلة نهاية المقاومة والإبادة

طالب الجنرال "هيربيون" النجدة من الإدارة الاستعمارية المركزية في الجزائر وصدرت الأوامر للطوابير العسكرية للتحرك نحو الزعاطشة قادمة إليها من قسنطينة، باتنة، بوسعادة، سكيكدة وعنابة، مما شجع المحاصرين من معاودة الهجوم يوم 26 نوفمبر 1849 بثمانية آلاف من الجند يقودهم الضابط "بارال" والعقيد "كانروبار" و"لورمان" والعقيد "دومانتال"، ناهيك عن العتاد الحربي، في حين ضربت بقية القوات حصارا خانقا على الواحة تحسبا لأي نجدة تصلها من مناطق أخرى.

أُعْطِيت الأوامر بإبادة سكان الواحة بما فيهم الأطفال، النساء والشيوخ مع قطع أشجار النخيل مصدر رزق السكان، وحرق المنازل؛ ورغم ذلك صمد السكان، واشتبكوا مع الجنود الفرنسيين بالسلاح الأبيض في الدروب، حتى سقطوا عن آخرهم، حوالي الساعة التاسعة صباحا، ونكلوا بالجرحى ونسفت دارالشيخ وسقط الشيخ بوزيان شهيدا، فأمر "هيربيون" بقطع رأس كل من الشيخ بوزيان وابنه والشيخ الحاج موسى الدرقاوي وتعليقهم على أحد أبواب بسكرة.

محاضرات تاريخ الجزائر المعاصر / الدكتور رشيد العايدي

3. نتائج ثورة الزعاطشة

انتهت مقاومة الزعاطشة بخسائر فادحة؛ حيث خربت الواحة بكاملها، بعد أن مارس فيها الفرنسيون أبشع أنواع التعذيب والإجرام التي يندى لها جبين الإنسانية، بقطع رؤوس البشر وتعليقها على الأبواب أو على خناجر البنادق نكاية في الثوار، بينما خسر الفرنسيون 10 من ضباطهم برتب مختلفة و 165 جنديا قتيلا وإصابة 790 بجروح متفاوتة الخطورة، أما في صفوف أبناء المنطقة تذكر المصادر الفرنسية العثور على 800 جثة، وعدد آخر غير محدد تحت الأنقاض وقطعت أشجار النخيل عن آخرها والمقدرة ب حوالي: 10.000 نخلة، وما تبقى منها تعود ملكيته للدولة الفرنسية التي تقوم بتأجيره.

أثارت مقاومة الزعاطشة تضامنا دينيا ووطنيا، في الوقت الذي استغرب فيه العدو من إصرار السكان على إفشال مخططاته.

توسيع دائرة الانتقام بحرق واحة نارة الواقعة على وادي عبدي بالأوراس، والتي لقيت نفس مصير الزعاطشة يوم 05 جانفي 1850 على يد العقيد "كاروبير"؛ بعد أن تقدم إلى القرية بقوة قوامها ثلاث فرق من الجيش استباح بها القتل والهدم وإحراق البلدة.

احتلال مدينة بوسعادة، لأنها قامت بانتفاضة بقيادة محمد علي بن شبرة، وهو زعيم ديني دعا إلى الجهاد أثناء مقاومة الزعاطشة وأرسل النجدة إلى الشيخ بوزيان.

وبمجرد إنتهاء ثورة الزعاطشة وتغلب الجيش الفرنسي على الثوار، قام الجيش بإعدام 1500 شخص من المدنيين، وهدم الواحة بشكل رهيب، كما قام بقطع الآلاف من أشجار النخيل، وأتلف المحاصيل الزراعية، خصوصا وانه كان متأكدا بأنها إلى جانب التمور هي المصدر الغذائي الوحيد لهم.

لجأ المستعمر إلى قتل بطل الثورة الشريف بوزيان وباقي قادته، بعد أن قبض عليهم أحياء، حيث بدل أن يبقيهم كأسرى حرب ويعاملهم معاملة إنسانية لجأ كعادته إلى أسلوبه الجبان؛ والمتمثل في قطع رؤوس هؤلاء القادة والأبطال وتعليقهم عند مدخل مدينة بسكرة.

أبرز الثورات الشعبية المسلحة:

هي مقاومات مسلحة تزعمها مشايخ وزعماء القبائل الجزائرية تحت راية الجهاد، اندلعت في ربوع الوطن لمقاومات وثورات شعبية تجاوزت المائة (100)، تواصلت طيلة القرن 19م وبداية القرن 20م، ويمكن تلخيص أبرزها حسب التفصيل الآتي:

المقاومة	قيادتها	تاريخها الزمني	مجالها الجغرافي
واحة الزعاطشة	الشيخ بوزيان	1849 - 1848م	الجنوب الشرقي للجزائر
القبائل	لالة فاطمة نسومر	1857 - 1851م	جرجرة وضواحيها
أولاد سيدي الشيخ	سيدي سليمان	1880 - 1864م	البيض والجنوب الغربي للجزائر
المقراني والحداد	الشيخ المقراني والشيخ الحداد	1872 - 1871م	برج بوعريريج - شرشال - الأوراس

محاضرات تاريخ الجزائر المعاصر (الدكتور/ يزيد الطيبي)

بوعمامة	محمد العربي بوعمامة	1908 - 1881م	إقليم الغرب الجزائري
الأوراس	محمد آمزيان	1879م	الأوراس
التوارق	الشيخ أمود بن المختار والشيخ ابراهيم آق آكبدة	1923 -1881م	إقليم الهقار والتاسيلي
عين تركي	يعقوب بن الحاج	1901م	منطقة مليانة

لقد سعت فرنسا في قضائها على هذه المقاومات على أساليب وطرق إجرامية لم تمارس في أي دولة من دول العالم، وبالرغم من إستصدارها لعدة قوانين لا سيما قانون عام 1964 الذي نص على: "أن الجرائم ضد الإنسانية لا ينطبق عليها مبدأ التقادم"، بل نجد فرنسا نفسها قد وضعت إبادة الدولة العثمانية للأرمن تحت طائلة هذا البند، إلا أنها لحد الآن لم تعترف بجرائمها الإستعمارية في الجزائر وغيرها من الدول، لتزيد من تناقضها الصارخ من جهة أخرى بعد أن أعلنت رسميا مبدية قناعتها بالدور الإيجابي للإستعمار؛ حين مجدته بموجب قانون فيفري 2005، لتعود وتصرح من خلال بيان أصدرته الرئاسة الفرنسية يوم الأربعاء 20 جانفي 2021 أنها تعتزم القيام بـ"خطوات رمزية" لمعالجة ملف حرب الجزائر، لكنها لن تقدم "إعتذارات".

الواقع أن وحشية الإستعمار الفرنسي في كونه أشرس وأكثر الدول الإستعمارية إجراما ودموية، لا تحتاج إلى تدليل ولا يمكن لأحد أن ينكرها؛ وهو الأمر الذي أكده الرئيس الأمريكي "فرنكلين روزفلت" بقوله: "إن الإستعمار الفرنسي هو أسوء إستعمار يمكن أن تبتلى به أمة من الأمم".

محاضرات المعاصر (الدكتور / رشيد العايدي)